مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد9/العـدد: 02 (2021)، ص 511- 533

أصول النّهج الصّوفي و مرجعيته (الطّريقة الخلوتية الرّحمانية)

The origins of the Sufi approach and its reference (The Origins of the Khalwatiyyat-Rahmaniyya Path)

الدكتور عبد القادر بن التواتي[1]
[1]جامعة عمار ثليجي –الأغواط - الجزائر.
1967amel@live.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/21 تاريخ القبول: 2021/09/17 تاريخ النشر: 2021/10/07

ملخص:

إنّ التّصوف الحق مستمد من الشّريعة الإسلامية، بل هو ملتمس من القرآن الكريم مصدرها، وله أثر كبير في تطهير النّفس وسموّها إلى الله، فالصّوفي دائم الصّحبة مع الله، لسانه رطب بذكره لا يفتر عنه ولا يغفل، فإن هدفه الوصول إلى المعرفة العالية، ويجعل نفسه في الرضا والرضوان بعيدة عن الرذائل والمفاسد والشّهوات كلّها. ما دام هدف التّصوف هو الارتقاء بالروح، فمن الخير أن نعمل له، وندعو إليه في زمن تغلبت فيه الغرائز الشيطانية على الإنسان، واعْتُنِيَ بالجانب المادي فحسب، ونسي الإنسان أنه مادة وروح، وأن سعادته الحقيقية في الاعتناء بروحه، طبعا لا ينسى نصيبه من الدنيا في حدود متطلبات الشّرع.

الكلمات المفتاحية: التصوف-الأصول- النهج- المرجعية -الخلوتية

Abstract

True Sufism is derived from Islamic law, rather it is sought from the Holy Qur'an as its source, and it has a great effect in purifying the soul and raising it to God. In contentment and contentment, far from all vices, evils, and desires As long as the goal of Sufism is to elevate the soul, it is better for us to work for it and pray for it at a time when demonic instincts have prevailed over man, and only the material aspect is taken care of, and man forgets that he is matter and spirit, and that his true happiness

lies in taking care of his soul. Of course, he does not forget his share of the world in The limits of the requirements of the law.

Keywords: mysticism, origins, approach, referencecellularity.

المؤلف المرسل: عبد القادر بن التواتي

1. مقدمة:

التّصوف هو ارتقاء روحي يتأتى للإنسان بكثرة ذكر الله تعالى، والتّدرج عبر مراتب الإيمان ومقتضياته، وصولا إلى مرتبة اليقين، سالكا منهج القرآن وتوجهته. ومن تدبَّر القرآن أدرك هذه الحقيقة: فالصوفي مؤمن، عقيدته ما دلّ عليه الكتاب والسّنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسولهρ، وأخلاقه وآدابه الإقتداء بنبيهρفي هديه، وسمته وكل أحواله. وقد علمتُ يقينا أنّ من أولى الواجبات على المؤمن اعتقاد أن الله تعالى قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، وأنه لا يشبه غيره بوجه، وأنه الواحد الأحد الفرد الصّمد،كما نص عليه في قوله تعالى: (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)الحديد: ٣ وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، فمن اعتقد غير ذلك ففي إيمانه خلل، نرجو من الله أن يعينه على تصحيح ما جنح من حاله.

- أهداف الدراسة.

1-التعريف بالتصوف الحقيقي، ورد الاعتقادات بأنه شعوذة وعند بعضهم شرك وكفر.

2- تبيان دور التصوف في تربية النفوس، لتكون على النهج الصحيح.

- إشكالية الدراسة.

تهدف الدراسة إلى الإبانة أن التصوف نوعان في الواقع، طبقة أو شريحة تعتقد التصوف عن علم، ولا تحيد عن مقاصد الشريعة، وشريحة تدّعي التصوف، ولكنها تعتقد اعتقادات فاسدة، وسلوكاتها قائمة على الشعوذة والابتزاز.

-منهج الدراسة.

اعتمد البحث على منهجين هما التحليلي خاصة في ما يتعلق بعقيدة الصوفي ومنطلقاته، ومرجعيته المستمدة من أصول الشريعة الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآراء العلماء الصالحين.أما المنهج الثاني وهو التاريخي، الذي بيّن لنا نشأة التصوف والطريقة الرخلوتية الرحمانية العزوزية في الجزائر.

1-تعريف التّصوف: اختلف الدارسون في أصل اشتقاق لفظ "التّصوف"إلاّ أن الحقيقة التي لا يستطيع أن يختلف فيها منصفان أن التصوف ينطوي على نزعات أخلاقية ووجدانية جديرة بالدراسة والتأمل، وهو وسيلة لمعرفة تسمو على كلّ ما عداها من المعارف. وقد زخرت كتب الصوفية بالكثير من العبارات التي تشرح معنى التّصوف وتوضح مفهومه وغايته ومنهجه.

2-اشتقاق لفظ التّصوف:

التّصوف: مأخوذ من الصّفاء وهو محمود في كل لسان، وضدّه الكدورة وهو مذموم في كل لسان. وفي الخبر ورد أنّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ذهب صفاء الدنيا ولم يبق إلا كدرها) (التهانوي 1996م.ص457).

مأخوذ من الصفاء، ففيه القلب المكاني إذ قدمت الواو على الفاء لأن أصله الصفوة، وهو مصف للقلب. وقيل: سموا صوفية لصفاء أسرارهم وبقاء آثارهم، والمراد ببقاء الآثار طهارة الظاهر عن المخالفات فإنها من آثار صفاء الأسرار عن الكدورات(أرشيف 2008م ص ع23 ص433). وقيل: سموا صوفية للبسهم الصُّوف؛ لأنه كان لباس الأنبياء وشعار الصالحين، وهذا لا قلب فيه. يقول السهروردي: "ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام...فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا، وقناعتهم بسد الجوعة، وسترة العورة، واستغراقهم في أمر الآخرة، فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحتها، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة، وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق، لأنه يقال: تصوف؛ إذا لبس الصوف، كما يقال:

تقمص؛ إذا لبس القميص(أرشيف 2008م ص ع31 ص381) ويقول الطوسي: نُسبوا إلى ظاهر اللبس، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون؛ لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وشعار المساكين المتنسكين(مجلة البيان عدد 214 ص4)

قال الغزالي: التصوف تجريد القلب لله واحتقار ما سواه، وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح، ومعنى احتقار ما

سواه احتقار ما ليس لله، فتعظيمنا الأنبياء والملائكة ثم العلماء لأن الله عظمهم وأمرنا بتعظيمهم، فتعظيمهم تعظيم لله فليس تعظيمهم خارجا عن تجريد القلب لله أو معنى احتقار ما سواه: اعتقاد أن سواه لا يضر ولا ينفع إذ المؤثر هو الله تعالى، وإلا فاحتقار هؤلاء أو كتبه أو الطاعات أو المساجد كفر. قال أبو نعيم في الحلية " في ترجمة أبي بكر الصديقτ: (التّصوف الجدّ في السّلوك إلى ملك الملوك)(أبو نعيم1405 ج1 ص32)

- قيل: وقف الهمم على مولى النّعم. قال في ترجمة الفاروقτ: وقد قيل: الموافقة للحق في المخالفة للخلق، وقيل: النبو عن المراتب الدّنيا والسّمو إلى المرتبة العليا، وقيل: التصوف حمل النفس على الشدائد للري من شرف الموارد. وقال في ترجمة عثمان τ: وقد قيل: إن التصوف الإكفاف على العمل تطرقا إلى بلوغ الأمل. وقال في ترجمة علي τ: وقد قيل: التصوف الرغبة إلى المحبوب في درك المطلوب، وقيل: السُّلُو عن الأعراض بالسمو إلى الأغراض(أبو نعيم1405 ج1 ص80).

-وقيل: التّصوف المفر من البينونة إلى مقر الكينونة(أبو نعيم1405 ج1 ص110).

-وقيل: إن التّصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق(أبو نعيم1405 ج1 ص114).

-وقيل: التّصوف عرفان المنن ، وكتمان المحن(أبو نعيم1405 ج1 ص176).

-وقيل: التّصوف الإكباب على العمل والإعراض عن العلل(أبو نعيم1405 ج1 ص166) وقيل: التّصوف الوطء على جمر القضا إلى منازل الأنس والرضا. وقيل: إن التّصوف الأخذ بالأصول، والترك للفضول، والتّشمر للوصول.

وقال السهروردي: التّصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وعمل مع إتباع(غالب 2001 ص17).

من خلال العبارات المُعْرِّفة للتّصوف يستطيع النّابه الفطن أن يتبيّن أنّ التصوف الصحيح عبارة عن منهج يوصل إلى غاية، وهذا المنهج يتمثل في أنواع من السّلوك والرياضات والمجاهدات، يأخذ الصوفية بها أنفسهم فيصلون إلى غايتهم القصوى ألا وهي التحقق بمعرفة الله عز وجل وإدراكه إدراكا مباشرا ولعمري هل هناك ما يطمع فيه مخلوق بعد ذلك؟

وأصل التصوف ملازمة الكتاب والسّنة، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات الله، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضلّ أحد في هذا السبيل إلاّ بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء.

قال أبو عبد الله بن خفيف: التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية ومجانبة دواعي النفسانية، ومنازلة صفات الروحية والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة وإتباع الرسول في الشريعة(الأزدي 1998م ص348). وهنا أشير إلى ملاحظة تدعو إلى التّأمل والمقارنة بين ظهور زمن الحركة الصوفية كمصطلح وزمننا هذا. هل يجب الدّعوة إلى الارتقاء الروحي أم لا؟ التصوف حركة انتشرت في العالم الإسلامي عقب الفتوحات، حيث كثر التّرف وكردة فعل مضادة للتّرف انتشر الزهد، الذي تطور، حتى صار له طريقة متميزة، باسم الصوفية.

هناك آراء كثيرة في تعريف التّصوف واشتقاق الاسم، وأرجحها ما ينسبها إلى لبس الصُّوف؛ لأنه دأب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فأضافتهم إلى ظاهر اللباس كان ذلك اسماً مجملا عاماً ولأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسّكين . وهذا ما يرجحه بعض العلماء مستبعداً باقي التعليلات والتفسيرات السابقة مفنداً إياها موضحاً الأسباب في كل

حالة، لأنه لو كان نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله لقيل صفى ، وإذا قيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله لكان الاسم الصحيح (صفوى) وإذا كانت النسبة إلى صوفه ابن بشير من القبلة المجاورة لمكة منذ الزمن القديم الذين ينسب إليهم النساك فإنه قول ضعيف لأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لعرف هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم كما لا يرضى صوفي أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام، فالأصح إذن عنده هو أن الصوفية نسبوا إلى اللباس الظاهر وهو لباس الصوف فقيل في أحدهم (صوفي) .

وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.وقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، فقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله، وقيل: الأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق..جاء في كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي: قال ذو النون المصري: من علامة حب الله متابعة حبيب اللهρفي أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته، وقال: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

1- ضعف النية بعمل الآخرة.

2- صارت أبدانهم مهيأة لشهواتهم.

3- غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل.

4-آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله.

5-اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهمρ .

6-جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم(أرشيف رابط ص4).

وإجمالا فالصوفية كانت بداية للزهد ثم تطورت وصارت مذاهب شتَّى، وطرائق قددا منها ما يَقرُب من السّنة ومنها ما يَبْعُد، ونحن في هذا البحث نقصد الفئة الطيبة الطاهرة المعتمدة لكتاب الله وسنته، وسيرة السّلف الصالح.ولو استرسلت في ذكر معنى التصوف حسب العبارات الواردة عن أقطابه، مع العلم أنّ الصّفة الغالبة على كتب التّصوف والسّلوك المعروفة-بقطع النّظر عن مضمونها الشرعي-هي صفة التّرفّق بالناس وتنمية غريزة التعاطف معهم، والتماس العذر لمن يُنكر على الصوفية، وتجنّب الصّدام والتجريح والغمز والطّعن بالآخر، بل تجنّب

التعالي عليه، حتى قالوا: الصّوفيُّ من صفت نفسه، فه لا يرى لنفسه على غيره مزّية.ويُعلمون أتباعهم قاعدة هامّة: وهي أنّه يجوز للمُتفقّه المشتغل بعلوم الفقه والحديث أن يُنكر على المتصوّف ما يخالف ظاهر الشرع -مع إحسان الظنّ به-، وليس للمتصوف أن ينكر على المتفقّه !وأخبرنا العدل أبو الفضل عبد الواحد ببغداد أن الإمام العالم أبا محمد عبد الله بن عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ النحوي، أجاز لهم وأنشد لنفسه(المقدسي 1987م ج1 ص2):

تَركُ التَكلُف في التَصَوفِ وَاجَبُ ومِن الْمُحَالِ تَكَلُفُ الفُقَرَاءِ
قَومُ إذا اِمتَدَ الظَلامُ رَأيتُـــهم يَتَرَكَعُون تَرَكُعُ القَـــرَاءِ
والوَجدُ مِنهُم فِي الوِجُوهِ مَحَــله ثُمّ السَماعُ يَحِلُ فِي الإغضَاءِ
لا يَرفَعُون بِذاَكَ صَوتاً مُجَهــرَاً يَتجَنَبُون مُوَاقِع الأَهــوَاءِ
ويَواصِلون بِذاَك صوتاً مُــجهَراً في الَبَأسِ إن يأتي وفِي السَراءِ
وتَراهُم بَيْنَ الأَنَــامِ إذا أتــوا مِثلَ النِجُومِ الغرّ فِي الظَلماءِ
صَدقت عزَائمهُم وعَزم مَرامــهِم وعَلت منَازِلُهُم عَلى الْجَـوزاءِ
خَدَمُوا الإله حَقيقَة وعَــزيمة ورَعوا حِقُوقَ اِللهِ فِي الآنـاءِ
وَالَرقصُ نَقصَ عِندهم في عِقُولِهم ثُمّ القَضِيب بِغيرِ ما إخفَـاءِ
هَذا شِعارُ الصَالِحين ومن مَضَى ِمن سَادةِ الزُهاَدِ والعُلمَاءِ
فإذَا رَأيت مُخَالفاً لِفعَالِـــهم فاحكُم عَليه بعَظمِ الإغـواءِ

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام: لما ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف.هذا معنى كلامه فقد عدَّ هذا اللقب مخصوصا بإتباع السنة ومباينة البدعة(الشاطبي ج1 ص63). وقال ذو المصري يوصي رجلا: ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك أحكام ما افترض الله عليك واتقاء ما نهاك عنه فإن ما تعبدك الله به خير لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي تجب عليك وأنت ترى أنها ابلغ لك فيما تريد كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك وإنما للعبد أن يراعي أبدا ما وجب عليه من فرض يحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهى عنه فيتقيه على أحكام ما ينبغي فإن الذي قطع العباد

عن ربهم وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان، وأن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم في قلبوهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البر إدخالا تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم الله من حسن معونته وفوائد كرامته ولكن أكثر القراء والنساك حقروا محقرات الذنوب وتهاونوا بالقليل مما هم فيه من العيوب فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل. (الشاطبي ج1 ص91)

3-شخصية الصّوفي الحق:

كما حدد الصوفية معالم التصوف ورسموا طريقه، فقد حددوا أيضا معالم شخصية الصوفي ورسموا أحواله.قال الجنيد -رحمه الله-: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه(عبد المحسن 1427هـ ج1 ص122)وقال أحدهم: الصوفي هو الرّامي بقصده إلى الله عز وجلّ فلا يعرج حتى يصل.وحدد أبو عمر الدمشقي خصال الصوفي في أربعة أشياء هي: السياسة، والرياضة، والحراسة، والرعاية:

(أ)- السياسة فهي ظاهرة وبها يصل العبد إلى التطهير، وهي حفظ النفس ومعرفتها، وميراثها القيام على وفاء العبودية.

(ب)- الرياضة وهي أيضا ظاهرة وبها يصل إلى التحقيق، وهي مخالفة النفس ومعاداتها،وميراثها الرضاء عند الحكم.

(ج)-الحراسة معاينة بر الله في الضمائر، وميراثها الصفوة والمشاهدة، ويحرس على أن يكون على وجل وخشية من نقمة الله، وحتى لا يكون من الذين استدرجوا فتتحقق فيه الآية الكريمة المنصوص عنها في قوله تعالى(**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**)القلم: 44 - 45

(د)-**الرعاية** مراعاة حقوق المولى بالسرائر، وميراثها المحبة والهيبة ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضاء متصل بالمحبة، ولسانه مداوم على دعاء: "اللهم ارزقني حبك، ومحب من يحبك، ومحب كل عمل يقرب إلى حبك"، عن بريدة بن

الحصيب الأسلمي قال: قال لي رسول اللهρ:(ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمه إياها ثم لم ينسهن أبدا اللهم إني ضعيف فقوّ فيّ رضاك ضعفي، وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني) (أبوطالب 2005م ج10 ص292).

4-مراتب الإدراك:

أما الحديث عن مراتب الإدراك للسّالك فهي أربعة مراتب هي:

(أ)- **البداية** فإن السالك في هذا الطريق فلابد أن يدقّ الباب، وإنّ هذا الباب لا يفتح إلاّ بمفاتيح، لكن قبل التطرق إلى هذه مراتب لابد من توضيح: هل يحتاج المسلم إلى طريق ينتسب إليه؟ كل مسلم على يقين أنه مسافر إلى الدار

الآخرة، وأهل الإيمان منهم مسافرون إلى مقر رحمة الله ودار النعيم الأبدي، وأهل الإحسان مسافرون فرارا من الكونين إلى المكوّن جلّ جلاله، ولما كان المسافر إلى مكان ناء لا يخلو حاله من حالين:

-إما أن يكون عالما بالمسلك الذي يسلكه وعلى دراية به، ببصيرة مستنيرة بفيوضات إلهية، قد فتح الله عليه وهداه إلاّ أنه يحتاج إلى مفهوم يفهمه الدليل: فإن كان عالما احتاج إلى رفيق يعينه على مهام شؤونه حتى يكون على يقين من أنه إذا نسي ذكّره، وإذا ذكر أعانه، ومن الحكمة «خذ الرفيق قبل الطريق».وإن كان جاهلا بالطريق احتاج إلى دليل موثوق به مشهور بين الناس بتوصيل السفر. وهذا من حيث التعلق بالموضوع عقلا، أما من حيث الذوق فيه، فإن العلم كالمال والعافية والجاه، لو أن العلم ينفع في السير إلى الله لكان أول منتفع به إبليس، وهو من تعلم علما ومعرفة بقدر نفسه وعلمه، ولما لم يكن له مرشد يرشده ضل وهوى. إن الله تعالى أرسل الرُّسل-عليهم السلام-وهو الحكيم العليم؛ لأنه خلق الخلق خطائين بأنفسهم، جهلاء بحسب حقائقهم، وإنما المرشد للسالك منزل منزلة القوت للروح والعقل علما، والغذاء للجسم عملا، ومنزل للواصل منزلة الشمس المبيّنة للحقائق، فالمرشد يأخذ بيده يبعده على متاهات، ويسلك به المسلك السلس، يزيل من بين يديه الأشواك. وقد تخفى على السالك كثير من

الحقائق، فإن المرشد ينير للعين المبصرة ما خفي عنها، فهنا فإن السالك لا بد له من شيخ عارف المسالك، ينبّهه إلى طريق الحق، ويبعده عن الضلالات.

(ب)- كسب العلوم الشرعية مجملة مجموعة ومفصلة منوعة: أن يكون القرآن والحديث منبعَ كلّ فكرة وسحابَ كلّ قطرة.

(ج)- **أعمال السلف الصالح وأئمة المسلمين:** ومواجيدهم الصادرة عن عين اليقين،وصدق التمكين، وصفاء الضمير، والإخلاص في المعاملة لرب العلمين.

(د)- **طمأنينة القلب بعد العلم:** بكلّ ذلك، حالة دخوله العمل أو القول أو الحال؛ لأن كلّ ذلك خالص لوجه الله تعالى بحيث أن السالك إذا لم يستبن له الأمر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أو في هدي السلف الصالح يلزمه أن يتوقف عنه حتى يطمئن قلبه أنه خير، وأنه خالص لله تعالى.

4-شروط الشّيخ الصّوفي:

ويشترط في الشيخ أن يكون عارفا بالمسالك الموصلة لله عز وجلّ لا مجرد الاسم، والغريب لم نجد اليوم من يتصف بهذه الصفة الحقّة، ولا يبحث على ذلك ويتنافس فيه بل كلّ من يتقيد باسم طائفة صارت له مثل الملّة لا يستطيع مفارقتها، وإذا تكلمت يقول: أنا شيخي قطب، وغوث وفرد ولعلّه من الأبرار، ويصير يكرر في تلك الألفاظ التي لم يعرف لها معنى، ولا هي مقصودة بالذات. وليس المراد من الشيخ أن يتزين بهذه الألقاب، وإنما الشيخ من يرفع له الحجاب، وله دراية بالأمراض المعيقة عن الوصول إلى الباب، والشيخ من أعانك على تهذيب سلوكك، وأنار الطريق، وأزاح عنك المعوقات والمثبطات، ونبّهك مواطن ضعف نفسك، وما يبعدها عن حضرة المولى جلّ جلاله.

مما لا شك فيه أن رسالة التصوف كانت فيما مضى من أقوى الرسالات الموجودة يوم كان الإسلام وحده يكتب تاريخ العالم ويرسم أهداف الحياة. وكان نهج التصوف في هذا الوقت منهجا شاملا لكل نشاط حيوي في الحياة؛ لأنه يتعلق بالناحية الإنسانية والقوى الروحية فيعمقها وينميها ويفتح آفاقها ليجعل من الإنسان رجلا وفيا بعلمه ويجعل بين الناس تسود مودة ومحبة وإخاء وعمل وجهاد وسلام.

هذا الإنسان الكامل هو هدف التصوف، وأما القول بأن الصوفية تدعو إلى التوكل والتقاعس عن العمل والجد فهذا محض افتراء ليس فيه شيء من الحقيقة، والمراد به تشويه صورة التّصوف.

وكان من الطبيعي أن يكون في الإسلام ومن المسلمين تصوف ومتصوفون؛ لأنه فكر وعلم ومعرفة، ومن حقائق تاريخنا أن التصوف كان دائما سامقا إلى الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية، والوجه الأكمل، مهذبا للأخلاق ويسمو بالروح ومضيء لطريق الوصول إلى رضا الله تعالى مما جعل الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، وذلك بنص الآية قال تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) آل عمران﴿١١٠﴾ وما التصوف في الإسلام إلاّ تلك المثالية المقتبسة من روح القرآن وحياة الرسولρ ومحبة الله والتعاون على البر والتقوى مما يعمل على رفع القيم الخلقية وتطهير النفوس البشرية. والتصوف هو ذلك الإجماع على الصفات الإيمانية المهذبة التي تدعو الناس إلى خالقهم بالحب والذكر والإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتزكية الخواطر والحواس، وتطهير القلوب، تلك الإشراقات الإيمانية التي تربط الإنسان بالله، وتصعد به في سلم الحياة درجات ودرجات، ويتقي بروحه ليكون خيرا لنفسه وخيرا لأمته وخيرا للإنسانية جمعاء.

فالصوفي همه أن يتأسى برسول اللهρ في أخلاقه، وما صدر عنه فهو دائم التعلق به، وقد ترجم هذا الحال الشاعر محمد العيد آل الخليفة-رحمه الله تعالى- في بيتين رائعين.

بمحمد أتعلق _ وبخلقه أتخلـق
إن التعلق بالرسو _ ل ودينه بي أليق

إن التصوف الحق يتفق مع الشريعة، بل هو ملتمس من القرآن مصدر الشريعة، وله أثر كبير في تطهير النفس وسموها إلى الله فالصوفي دائم الصحبة مع الله: فلسانه رطب بذكر الله، لا يفتر عنه، ولا يغفل عن ذلك، فإن هدفه الوصول

إلى المعرف العالية، ويجعل نفسه تتجنب أخلاق السوق والتحلي بالأخلاق الفاضلة.وما دام هدف التصوف هو الارتقاء بالروح، فمن الخير أن نعمل له، وندعو إليه في زمن تغلبت فيه الغرائز الشيطانية على الإنسان، واعْتُنِيَ بالجانب المادي فحسب، ونسي الإنسان أنه مادة وروح، وأن سعادته الحقيقية في الاعتناء بروحه، طبعا لا ينسى نصيبه من الدنيا في حدود متطلبات الشّرع..

5-رؤية النّاس للتصوف:

إن رؤية الناس للتصوف وفِهْم حقيقته فريقان:

1-فريق يرى أن التصوف هو اهتزاز ودروشة وطبل ومزمار وتكوين جماعة تجتمع أوقات فراغها لإنشاء القصائد في المدح، وهمهمات وغير ذلك من الأمور التي تأباها الشريعة ما فعلها رسول اللهρ ولم يفعلها صحبه الكرامψ، ولا التابعون ولا من تبعهم بإحسان، ولا العلماء العاملون الربانيون.

2-وفريق مجافي للحقيقة، يهاجمون من غير تحقيق، فهم يهاجمون الطرق الصوفية أصحاب الأذكار الراتبة، ولعمري فقد أساءوا إلى فئة صالحة طاهرة، كما راحوا يهاجمون أصحاب الزوايا الطاهرة المعمورة بالقرآن، التي شيّدها أصحابها مأوى المحتاجين، وتربية للمريدين. صحيح أن هناك مفسدين ممن يدّعون التصوف، حتى منذ القديم من أمثال الحلاج، لكنّ الصوفيين الحقيقيين تصدّوا لهم وحذروا منهم كما فعل الجنيد مع الحلاج، يذكر الحافظ الخطيب البغدادي أن الحلاج جاء إلى الجنيد يسأله فلم يجبه، وقال عنه (إنه مدع). وأضاف الحافظ أن الجنيد قال للحلاج ذات مرة: (لقد فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدّها إلا رأسك).وبعد ذلك،انفصل الحلاج عن الجنيد وطريقته(التنويري صفحة)، فمن يهاجم الصوفية دون تمييزففي هجومه دلالة على ضحالة علمه؛ وبعده عن سيرة نبيّ الهدى؛ لأن العلم لا يحتاج إلى المهاجمة، ولا إلى المناظرة؛ لأن العلم يظهر ويسطع في القلوب والعقول نورا يدل على الصراط المستقيم، ما كان محمدρمهاجما أحدا وإنما كان داعيا إلى الله بالحسنى. وإن الحق الصحيح المنقول عن أئمة الهدى-رحمهم الله-هو الموافق لما كان عليه الصحابةψ ولما كان عليه أئمة السلف-رحمهم الله-، ومن تتبع ذلك وجد ذلك جميعه متفقا مجتمعا في أصول

دينهم وجماع شريعتهم، وفي هذا غنية عن أقوال المبطلين، وهذا هو القول الحق، وهو الوسط بين الغالين والمجحفين.

6-بعض أقوال العلماء في الإمام الجنيد:

هنا سأذكر بعض أقوال العلماء الربانيين الذين خدموا الإسلام بعلم وجهد وتصدّوا للمفسدين والمبدّعين، ومن العلماء شيخ الاسلام ابن تيمية-رحمه الله- قال في الامام الجنيد-رضي الله عنه-:(فَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَ الْجُنَيْد مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالْمَعْرِفَةِ كَانَ قَدْ اهْتَدَى وَنَجَا وَسَعِدَ) (ابن تيمية 2005م ي ج1 ص533) وقال أيضا: وتحدث عنه أيضا الإمام بن تيمية وهو بصددِ مناقشة مسألة الإرادة الكونية القدَرية والفرقِ بينها وبين الإرادة الدينية:(وكانت هذه المسألة قدِ اشتبهَت على طائفة مِنَ الصوفية، فبيَّنها الجنيد -رحمه الله- لهم، مَنِ اتَّبع الجنيد فيها كان على السداد، ومَنْ خالفه ضلَّ) (ابن تيمية 2005م ي ج1 ص245) وقال أيضًا: (كان الجنيد رضي الله عنه سيِّد الطائفة، ومِنْ أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا) (ابن تيمية 2005م ي ج1 ص686)

7-أوصاف أهل التّصوف الحقيقي:

الصوفية هم جمع سلفية سوية منهجهم يقوم في ظل التوحيد، يعملون في توحيدهم وفي تنزيههم للتوحيد، ويعتقدون أن الزلفى إلى الناس من الشرك الخفي، فهم قوم تجردوا من الأغيار واتصلوا بالواحد القهار، لا تفتر ألسنتهم عن ذكر الله بالليل والنهار.

-الصوفية هم العاملون بطريق الآخرة، والمتأسون بالمرسلين وهم المصابيح لمن استضاء بهم، والهادون لمن استرشد بهم..

-الصوفية هم روح سرت في القلوب، تقود الناس إلى الرجوع إلى الله، وتجمع ما تشتت منهم في شعاب الدنيا وزخرفها، أقاموا للإسلام صرحا، وللدين مثالا رفيعا قائما على مجاهدة النفس، وتجريدها من اللصوق بالطينة النتنة، ألسنتهم مداومة على ذكر الله تعالى، أدركوا أن الاطمئنان لا يتحقق إلاّ في رحاب ذكر الله

مصداقا لقوله-سبحانه وتعالى-: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)**الرعد: ٢٨ فهم يعيشون في واحة خصبة ظليلة تمنح الأمان والري والحياة والاطمئنان للحيارى والضالين والمتعبين.

-الصوفية قوم فهموا حقيقة الوجود الإنساني،أنه قائم على العبودية لله وحده، وأنه لا نجاة من عقاب الله إلا بالفرار إليه عاملين بقوله تعالى:**(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ)**الذاريات: ٥٠ * ٥١

-الصوفية علموا أن أحدهم لو حصل على علوم الأولين والآخرين إذا لم يكن صاحبه قد أدرك حقيقة الوجود فإن علمه لا ينفعه، وقد استعاذ رسول اللهρمن علم لا ينفع.

-الصوفية قوم زهدوا في الدنيا فكان للزهد في اصطلاحهم مقام شريف، وهو عندهم أساس الأحوال الرَّضية والمراتب السّنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد، لم يصح له شيء مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة.روي عن الفضيل بن عياض: أنه كان يقول: جُعل الشّر كله في بيت، وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.وقال الراغب -رحمه الله-: العالم طبيب الدين، والدنيا داء الدين، وإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه، فمتى يبرأ غيره.غير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل(المناوي 1994م ص461)، ونقل عن أحمد بن أبى الحوارى (ت:230ه) أنه قال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه، فمن عرف الدنيا، زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله آثر رضاه، و إذا رأيت من قلبك قسوة، فجالس الذاكرين، واصحب الزاهدين، وأقلل مطعمك، واجتنب مرادك، وروض نفسك عن المكاره(الرضواني ص39)

-الصوفية هم قوم عندهم الذكر جلاء القلوب الذي به يبصر القلب، وإن باب الذكر التقوى، والتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا، فقد أمر الله تعالى بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى؛ لأنه سبب الاتقاء وهو الاجتناب والورع قال تعالى:(**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** البقرة: ٦٣

-الصوفية هم قوم يجاهدون أنفسهم جهادا ليتحققوا بعبوديتهم لله تعالى تلك العبودية التي وصف الله تعالى بها رسله الكرام-عليهم السلام-ألا نجد في القرآن ما يبيّن ذلك ويرشد إليه قال تعالى: **(لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)الإسراء**: 18 فقد وصف بالعبودية أعظم رسله وأصفى أصفيائه الحبيب المصطفىρوجاء ذلك الوصف في موطن الإسعاد والتكريم بالإسراء والمعراج،وقد نال رسول اللهρ بهما ما لم ينله غيره، وهناك فاز برؤية آياته ربّه الكبرى قال تعالى:(**لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ)** النجم: ١٨.

قال الجنيد: إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا وشيءٌ مما دونه لك مُسْترق، فإذا كنت له وحده عبدا كنت معا دونه حرا(الخزرجي 2011م صفحة).وقد كتب الجنيد إلى أحد تلامذته: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله تعالى، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه، كشف الله ما به من المحن والبلوى، وإن دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع، فتزداد مطالبه منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا، وموته كمدا ومعاره أسفا، ونحن نعوذ بالله من السّكون إلى غير الله.

-والصّوفية قوم يؤثرون على أنفسهم مصداقا لقوله تعالى:(**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** الحشر ﴿9﴾

-والصوفية قوم يخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير أو تعريج في أوطان الكسل، أو جنوح إلى الاسترواح بالرخص، ثم يخافون أحوالهم بعين الاستصغار والاستحقار، ويخافون بغتات التقدير، وقضايا السخط كما قيل:

يتجنب الآثام ثم يخافها _ فكأنما حسناته آثام

ينبطق عنهم قوله تعالى:(أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) المؤمنون٦١ أي: مسارع بقدمه من حيث الطاعات، ومسارع بهممه من حيث المواصلات، ومسارع بندمه من حيث تجرع الحسرات، والكل مصيب، وللكل من إقباله على ما يليق بحاله نصيب.

فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره واستيفائه، ولذلك قال علماء الصوفية: إن فائدة قوله تعالى:(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)يوسف 22 إنما أعطاه ذلك إبان غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة.ومن أقوال علماء الصوفية: إن الله كتب الغبن على الخلق أجمعين، فلا يلقى أحد ربه إلا مغبونا؛ لأنه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب. وجاء في الأثر قال النبيρ: «لا يلقى الله أحد إلا نادما إن كان مسيئا إن لم يحسن، وإن كان محسنا إن لم يزدد». هذا الحديث يحتاج إلى تحقيق.

أما الندم فقد صرح بذلك القرآن الكريم قال تعالى: **(حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحًا فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** المؤمنون (99) (100)

وقال بعض العارفين: لا يجوز الترقي في الآخرة إلا في مقام حصله المكلف في هذه الدار فمن عرف شيئاً وتعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً، فإن ظفر به في حياته كان ذلك اختصاصاً واعتناء، وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة يناله(حقي ي ج11 ص10).

-أما الغبن فقد قال عنه بعضهم: الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء في الكدورة واللطف في صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو في عين الجمع والأنس.

وقع الغبن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض، وإما من كان مشغولاً بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن. ويقع الكل في الغبن إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوه في مكاشفاتهم في الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وإن كانوا لا يعرفونه أبداً حق معرفته وأي غبن أعظم من هذا إذ يرونه ولا يصلون إلى حقيقة وجوده.

-إن الصوفية ليسوا أصحاب دف ومزمار، وقلوبهم لاهية طوال الليل والنهار، وإنما هم قوم لأكفهم رافعة، وألسنتهم لله ضارعة، وقلوبهم لله خاشعة.

9- الطريقة الخلوتية:

إن القرآن الكريم رسالة هداية للعالمين قد اتسعت آفاقه وتعاليمه للناس جميعا في سائر الأرض على اختلاف طاقاتهم وقواهم وهذه التعاليم الإسلامية الإيمانية درجات ومقامات درجة فوق درجة ومقاما فوق مقام، كلّ يلتمس حسب قدراته. ولما تغلب الجانب المادي على الناس نهض رجال عظام يسعون إلى تربية الأجيال، والعودة بهم إلى طريق السوي، فكانت طرقا التي أطلق عليها طرق الصوفية منها الطريق الرحمانية الخلوتية. برزت الطريقة الخلوتية نسبة للشيخ سراج الدين الخلواتي (حوالي ت: 800هـ)أخذ عن خاله وشيخه محمد بن نور الخلواتي عن إبراهيم الزاهد الكيلالي عن جمال الدين التبريزي عن شهاب الدين محمد الشيرازي عن ركن الدين عن ركن الدين محمد النجاشي عن قطب الدين الأبهري عن أبي النجيب السهروردي. وكان أول انتشار واسع للخلواتية على يد الشيخ صدر الدين الحياوي، وخصوصا على يد خليفته وصهره يحي الشرفاني المولود بالقوقاز، والذي استقر بـ(بكو) في اذربيجان. وتوسعت الطريقة ولم تبق منحصرة في القوقاز وأذربيجان وفارس وحدها وانتشرت تجاه محورين:

المحور الأول:امتدت خلال فتوحات العثمانية من الأناضول إلى جنوب شرق أوروبا بعد أن عمت تركيا.

المحور الثاني: امتد من تبريز في إيران إلى مصر على يد خلفاء عمر الروباشي التبريزي: ومن مصر انتشرت في إفريقيا السوداء والسودان والشرق الأوسط، ثم

من الحرمين الشريفين امتدت الخلوتية إلى اندونيسيا.واستمر وجودها قويا في إيران ، ومن أشهر رجالها هناك خلال القرن التاسع في هرات سيف الدين الخلواتي(ت:883هـ) وظاهر الدين الخلواتي(ت: 900هـ) واشتهر مشائخ كثر للخلواتية.

10-الطريقة الخلوتية في الجزائر:

أما الخلوتية في الجزائر ففي أول أمرها لم تنتشر وبقيت محصورة في أوساط وأسر ضيقة عند الأتراك أو بعض العلماء، وذلك بسبب الانتشار الواسع لطرق أخرى جلّها فروع للشاذلية والقادرية. وفي أواخر العهد العثماني وخلال الاحتلال الفرنسي شاعت الخلوتية في القطرين الجزائري والتونسي شيوعا عظيما حتى أصبحت أكثر الطرق إتباعا خصوصا في الشرق الجزائري والجنوب والشمال الجزائري، وبفضل رائدها الأول وقطبها الأكبر في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي المولود حوالي عام: 1130هـ في بلاد القبائل أخذ العلم بالجزائر ثم توجه للحج وأثناء عودته استقر بالأزهر الشريف مدة تزيد عن ربع قرن، فنهل من العلم وسلك طريق الخلواتي على الشيخ محمد بن سالم الحنفي أو الحفناوي الذي عهد إليه بالقيام بالدعوة وتربية العباد، وقد أقام الشيخ مدة بالسودان حيث نجحت دعوته نجاحا كبيرا.

ففي رسالة بعث بها إلى نقيبه بتونس بلحسن اليوسفي قال: إنه أقام ستة سنوات في دار فور السودان ليقرأ السلطان هناك، ثم عاد لبلده الجزائر (سنة: 1183هـ=1769م) فأسس في مسقط رأسه آيت إسماعيل (**أكبو- Akbou** الآن) زاوية، وشرع في تعليم القرآن وتشر العلم، وبث الطريق، فانتشر خبره في آفاق الجزائر، وقصده المريدون من كل جهة ثم انتقل إلى الحامة بضاحية الجزائر العاصمة، وأسس بها زاوية، وكتب تأليف ورسائل لا تزال موجودة في بعض الزوايا، وبعض المكتبات كالخزانة العامة بالرباط في المغرب.

وقد انتشرت الطريقة في حياته انتشارا واسعا في بلاد القبائل ووسط وشرق القطر الجزائري، وامتدت جنوبا إلى طرابلس بليبيا حتى سميت الطريقة باسم والده عبد الرحمن فقيل الطريقة الرحمانية بدلا من الخلوتية. وبعد وفاته (سنة : 1208هـ=

1893م) حلفه تلامذته في أداء المهمة، وكان أبرزهم الشيخ سيدي محمد بن عزوز شريف الحسني ولد بالبرج ضاحية طلقة في نواحي بسكرة حوالي(1170ه) وبعد حفظه للقرآن تضلع في العلم رحل للشيخ محمد بن عبد الرحمن بالجزائر العاصمة فأخذ عنه الطريق وبعد وفاته أكمل تربيته الصوفية عند خليفته بقسنطينة عبد الحمن باشتارزي (1331ه) الذي أجازه في التربية والإرشاد فأقام بهما أحسن قيام إلى أن وافاه الأجل. ونشير هنا إلى الدور الجهادي الكبير الذي قام به شيوخ وأتباع الطريقة الرحمانية في مقامة الاحتلال الفرنسي، ومن أشهر ثوراتهم ثورة 1871م التي قادها ثورة الشيخ محمد أمزيان الحداد مع المقراني في بلاد القبائل، ولما فشلت الثورة اعتقل الشيح إلى كالدونيا الجديدة فأوصى خليفته الحاج علي الحملاوي بتأسيس زاوية لتعليم القرآن والشريعة؛ لأن القرآن على حدّ قوله كفيل بإحياء الثورة في الوقت الذي يختاره الله تعالى، فنفذ الحملاوي ما أوصي به.

عاشت الزاوية ظروفا صعبة صادفت تأسيسها، ونعني بذلك الاحتلال الفرنسي من جهة، وحركة الجهاد من جهة أخرى. وقد تنازع أهل المنطقة الولاء بين الأمير عبد القادر وأحمد باي وعائلة بو عكاز وعائلة ابن قانة. وكان على الزاوية أن تتخذ موقفا حذرا ومحايدا. كما واجهت الزاوية امتحانا آخر صعبا عند ثورة 1871، وكانت عندئذ بزعامة الشيخ علي بن عثمان. فلم تتبع الشيخ الحداد في دعوته للجهاد، وظلت الزاوية في ظاهر الأمر محايدة. ونحن نعرف أن فروع الرحمانية عندئذ قد استقلت وليس لها) شيخ (ترجع إليه.هذا عن الجانب السياسي(أبو القاسم 2007م ص 506).

من الذين ساهموا في نشر الطريقة في نشر الطريقة أبناء محمد بن عزوز فمنهم التارزي دفين المدينة المنورة، وأبو العباس دفين نفطة، والمبروك دفين الأغواط، أما والدهم الشيخ محمد بن عزوز دفين طلقة في يطلق عليه برج ابن عزوز، أما ولد الحسين فقبره بجوار والده، أما الحسن الذي تولى الإمارة بالصحراء تحت قيادة الأمير عبد القادر، وسجنته فرنسا بنواحي عنابة ومات هناك. وأعظم

أولاد محمد بن عزوز ذيوعا وظهورا ابنه مصطفى المؤسس زاوية نفطة بتونس. وتولى المشيخة الشيخ الشهير علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة التي تفرعت منها عشرات الزوايا الأخرى. وبعد وفاته تولى المشيخة بعده علي بن عثمان فقام بها أحسن قيام إلى توفي عام 1316هـ عن عمر يقارب 76سنة فتولى ابنه الأكبر عمر المشيخة فسار على نهج سلفه في العلم الزهد والكرم إلى أن وافاه الأجل سنة 1340هـ=1922م عن عمر 60سنة، وهكذا تعاقب رجال صالحون على مشيخة هذه الزاوية المعمورة حتى وصلت إلى الشيخ الهمام عبد القادر العثماني-حفظه ورعاه وأطال في عمره- وهو قائم بها مواصلا جهاد آبائه في تعليم القرآن والعلم شارحا للأحاديث النبوية كلّ جمعة. (أبو القاسم 2007م ص 216)

خاتمة:

وفي خاتمة البحث المتواضع لا يسعنا إلا أن نشيد بالنهج الصوفي الاصلاحي السني، وبعلمائه الذين خدموا دين الله والوطن، سواء بالتعليم أو بالجهاد ، وينبغي الاعتراف بدورهم الفعال في تربية النفوس وترقيتها لتكون في رضا رب العلمين، وعلى المنافين والمجافين للنهج الصوفي التمييز قبل الحكم، وعدم الجمع بين فئتين: فئة ضالة هدفها نشر الجهل، وتدنيس النفوس بمعتقدات فاسدة، وفئة هادية بعلم ومعرفة مستمدة من الشريعة الاسلامية، وهذه مجموعة من النقاط مستخلصة من البحث:

1-التصوف انتماء يرقّي النّفس، ويحفظها من الضعف أمام الدنيا والانزلاقات و الشهوات

2-التصوف تربية روحية، تتجلى في السّلوكات الانسانية.

3-التصوف يحافظ على إنسانية الانسان،ويحافظ على القيم الاجتماعية.

4- التصوف ليس رقص ودروشة ، ومفاهيم فاسدة (امتزاج وحلول ....)

5-هناك نوعان من التصوف : تصوف سنّي نقصده ونريده ، وتصوف فلسفي نرفضه ونحاربه.

5-وجب احترام علماء الصوفية الحقيقيين كالجنيد وغيرهم وحتى من علماء التصوف في العصر.

6-لا بد من دراسات مكثفة عن التصوف ليفهم الناس حقيقته، وفي نفس الوقت محاربة الشعوذة باسم التصوف.

-مصادر ومراجع البحث

1 – ابن أبي الدّنيا كتاب الزّهد دار ابن كثير 1420هـ 1999م ص469
2- التهانوي (ت 1158هـ)موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحق د. علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ط 1 - 1996م.ص457
3- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ) مجموع الفتاوى المحقق : أنور الباز- عامر الجزار دار الوفاء ط3 1426 هـ / 2005 ص355
4-زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت 1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى 1415 هـ - 1994 م ص461
5-أبو اسحاق الشاطبي الاعتصام تحقيق احمد عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت ج1ص 63
6- إسماعيل حقي، روح البيان في تفسير القرآن ضبطه ورتبه عبد اللطيف حسن عبد الرحمان ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج 11ص10
7-ضياء الدين المقدسي تحقيق محمد بدر الدين القهوجيو محمد الأرناؤوط اتباع السنن واجتناب البدع دار ابن كثير ط1 1987م-1407هـ ج1ص2
8- عبد المحسن بن محمد القاسم تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول الطبعة الأولى 1427هـ ج1 ص122
9-أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي 412هـ طبقات الصوفية تحق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت1419هـ 1998م ص348
10-أبو عبد الله الذهبي سير أعلام النبلاء تحق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعي العرقسوسي بيروت مؤسسة الرسالة 1413هـ ج11 ص 439
11 - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر الطبعة: طبعة خاصة - 2007 م ص506

12 – -أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين رتبه محمود سعيد ممدوح دار المعرفة بيروت لبنان ج4 ص229
غالب بن علي عواجي فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها المكتبة العصرية الذهبية ط3 سنة النشر 1422-2001 ص17
13 - محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيدتحق د.عاصم إبراهيم الكيالي دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط 2- 1426 هـ -2005 م ، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الفكر، بيروت - 1412 هـ ج10 ص292
14- محمود عبد الرازق الرضواني المعجم الصوفى رسالة دكتوراه منحت مرتبة الشرف الأولى أول دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ص39
15-أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي – بيروت ط 4 ، 1405 ج1 ص32
-المجالات والمواقع.
[1] - أرشيف المجلس العلمي من موقع الألوكة العدد 5371 ص4
www.majles.alukah.net
2 - أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3تحم 7 رمضان 1429 هـ = 7 سبتمبر 2008 م العدد 23 ص433
3- مجلة البيان (238 عددا) مجموعة من المؤلفين تصدر عن المنتدى الإسلامي عدد 214 ص4
4- أسفار في أسرار الوجود ج4 ح12عزيز الخزرجي الحوار المتمدن-العدد: 3540 - 2011 / 11 / 8 - المحور: الفلسفة، علم النفس ، وعلم الاجتماع07:41